بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى - في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **قال تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(112)**

ثم أخبرَ سبحانه أنَّ اليهود يدَّعُون أنَّ الجنة لن يَدخُلَها إلَّا من كان يهوديًّا، وأنَّ النصارى يدَّعون أيضًا أنَّ الجنة لن يَدخُلَها إلَّا مَن كان نصرانيًّا، وأخْبَر جلَّ وعلا أنَّ تلك الادعاءاتِ إنَّما هي مجرَّد أمانيَّ كاذبةٍ، وأمَر الله نبيَّه محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ أن يَطلُب منهم الحُجَّة على ما يَدَّعون إنْ كانوا مُحقِّين.موسوعة التفسير

بل إنَّ الأمر ليس كما يدَّعون ويتمنَّوْن، بل الحقيقة أنَّ مَن أخلصَ العمل لله تعالى وحده، سائرًا على نهجِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، فله ثوابُه عند الله، ولا خوفٌ عليه ممَّا يستقبله من أمور الآخِرة، ولا يحزنُ على ما فاته في الدُّنيا.موسوعة التفسير

(وَقَالُوا) أي: اليهود والنصارى

(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا) هذا قول اليهود

(أَوْ نَصَارَى) هذا قول النصارى

وقال ابن كثير: يبين الله تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، فاليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً.

✉ أن أهل الكتاب يؤمنون بالبعث والجزاء، لأن الجنة إنما يدخلها أهلها بعد البعث يوم القيامة.

ومن الدعاوى الكاذبة التي ادعوها:

قولهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ...)18المائدة

وقولهم (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً)

وقولهم (وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا)

وقولهم في هذه الآية (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى)

قال ابن كثير: فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، ثم ينتقلون إلى الجنة، ورد الله تعالى عليهم في ذلك، وهكذا قال في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال

(تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) أي: إنَّ تلك الدَّعاوى التي يُطلقها اليهودُ والنَّصارى، إنَّما هي مجرَّدُ أباطيل وأمانيِّ نفوسٍ كاذبة، يتمنَّونها على الله تعالى بغير حقٍّ. موسوعة التفسير

(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 111

أي: هذا أمرٌ من الله تعالى لرسوله محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بدعاء أصحاب تلك الدَّعوى من اليهود والنَّصارى، إلى إحضار الحُجَّة على دَعواهم تلك، إنْ كانوا محقِّين فيما يزعمون.موسوعة التفسير

ثم قال تعالى (قُلْ) يا محمد

(هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) قال أبو العالية : حجتكم . وقال قتادة: بينتكم على ذلك.

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي فيما تدعونه.

ويكون الأماني جمع أُمْنِيَة، والأمنيَة هي: أن يود الإنسان ويطلب ما لا يمكن وقوعه أو ما يبعد وقوعه جداً، كقول الشاعر:

ألا ليت الشبابَ يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ.

وأيضاً: ما يتمناه الإنسان بدون سبب يصل به إليه.

قال أبو العالية: أماني تمنوها على الله بغير حق

قال في التسهيل: **(أَمَانِيُّهُمْ)** أكاذيبهم أو ما يتمنونه

⇦ذكر أمنية واحدة لهم، فلما جاء الخبر قال :(تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) ما قال: تلك أمنيتهم، فجمع هذه الأماني، أو جاء بصيغة الجمع، كأنهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية، ومعاودتهم لها يكررونها ويرددونها فتأكد في نفوسهم وترسخت جمعت لكثرة ما يرددون بها، ويهتفون بها، ويعاودون هذه الدعوى في كل نادٍ ومحفل (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) فكأنها صارت مجموعة من الأماني.

⇦ويمكن أن يكون ذلك مجموع الأفراد، يعني كل واحد منهم يدعي هذا. خالد السبت

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب: ☜بعض الأماني منحٌ إلاهية، وكثيرٌ من الأماني كذبٌ وغرورٌ وسفهٌ ومحنٌ وابتلاءٌ.

فمن المنح أن يتمنى العبد الجنة وقد سار في طريقها، وأخذ بأسباب دخولها، وجد واجتهد في تحصيلها، ومن المنح أن يتمنى الخير عند فقد أسبابه، وتعذر تحقيقه؛ فعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ..... ». رواه الترمذي بسند صحيح

ومثال الأماني التي هي كذبٌ وغرورٌ وسفهٌ، أن يتمنى الإنسانُ الجنةَ، ولم يأخذْ بأسبابِ دخولها، ولم يمش يوما في طريقها، فلم يعرف الإيمان إلى قلبه سبيلا، ولم تخضع بطاعة الله جوارحه، قال الحسن: (إن قومًا خرجوا من الدنيا وقالوا نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل).

ومن تلك الأماني الكاذبة أن يظن أبعد الناس عن الله، أنه أقرب الناس لله تعالى، وأن له عنده الحظوة، وأنه من المصطفين الأخيار، فإذا ابتليت هنالك السرائر، وانكشف المخفي في الضمائر، وكشف الغطاء عن الأعمال، وافتضح كل مخادع ختال، تبين القريب من البعيد، والصالح من الطالح، والمصلح من المفسد. {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}. سورة الزمر: الآية/ 47 ✉ فاحذر أن يكون إيمانك أماني، وأعمالك غرور، وظنك بالله خداع.

(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(112)

أي: ليس الأمرُ كما قال الزَّاعمون بأمانيّهم: (لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)، ولكن مَن أخلص العملَ لله تعالى وحْدَه لا شريكَ له، وهو مع إخلاصه فيه مُتَّبِع لشريعة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ. الدرر السنية

⇦ثم أيضًا يؤخذ من هذه الآية (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) [سورة البقرة:112] أن القلب كما يقول شيخ الإسلام - رحمه الله: إذا توجه إلى شيء تبعه وجه الإنسان الظاهر. فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله فهذا صلاح إرادته وصلاح قصده، فإذا كان مع ذلك محسنًا فقد اجتمع أن يكون عمله صالحًا (وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) سورة الكهف:110

⇦وإذا صح توجه القلب تبعه الإرادة (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ) فتكون وجهته واحدة إلى الله -تبارك وتعالى - أما إذا تشتت القلب هنا وهناك بمعبودات شتى فإن القلب يتبعها ويتفرق، ولذلك جاء فيما هو دون ذلك، فيما أخبر عنه النبي ﷺ فيمن جعل همه واحدًا، وهو الآخرة، فإن الله يجمع شمله وهمه ويكفيه .أما إذا كان القلب مفرقًا في هموم وأودية الدنيا فإن هذا القلب يعذب بذلك، ولهذا جاء عن حذيفة رضي الله عنه:" اللهم إني أعوذ بك من تشتت القلب"، فسئل عن هذا، فقال: "أن يكون له في كل وادٍ مال.

(بَلَى) أي : ليس بأمانيكم ودعاويكم

(مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي من أخلص العمل لله وحده لا شريك له ، وقوله (وجهه) أي دينه ، وهذا الشرط الأول من شروط قبول العمل ، وهو الإخلاص لله تعالى

قال الطبري: بلى من أسلم لله بدنه، فخضع له بالطاعة جسده.

وقال القرطبي: وخص الوجه بالذكر، لكونه أشرف ما يرى من الإنسان، ولأنه موضع الحواس، وفيه يظهر العز والذل، والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية المقصد.

(وَهُوَ) مع إخلاصه

(مُحْسِنٌ) أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الشرط الثاني من شروط قبول العمل وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن العمل المتقبل لا يقبل إلا بشرطين :

❶ : أن يكون خالصاً لله وحده، لحديث (إنما الأعمال بالنيات) متفق عليه

و❷ : أن يكون صواباً موافقاً للشريعة ، لحديث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). رواه مسلم

قال ابن كثير: فعمل الرهبان ومن شابههم - وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله - فإنه لا يتقبل منهم ، حتى يكون ذلك متابعًا للرسول محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث إليهم وإلى الناس كافة ، وفيهم وأمثالهم ، قال الله تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (23) فرقان.

وقال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ)39النور

⇦وأما إن كان العمل موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضًا مردود على فاعله وهذا حال المنافقين والمرائين:

كما قال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)(142)النساء

وقال تعالى (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) [الماعون 4-7]

ولهذا قال تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)110الكهف

وقال تعالى (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) 112

قال الشيخ سليمان اللهيميد كيف يكون العلم مخلصاً؟

قال مالك بن دينار: إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمُهُ، وإذا طلبه لغير ذلك ازداد به فجوراً أو فخراً.

قال بعض السلف: من ازداد علماً ولم يزدد خشية فليتّهم علمه.

وقد قيل لذي النون المصري رحمه الله تعالى: متى يعلم العبد أنه من المخلصين؟ فقال: إذا بذل المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة عند الناس.

وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: متى يكون العبد مخلصاً؟ فقال: إذا صار خلقه كخلق الرضيع، لا يبالي من مدحه أو ذمه.

قال النووي: من علامة المخلص أن يتكدر إذا اطلع الناس على محاسن عمله كما يتكدر إذا اطلعوا على مساويه فإن فرح النفس بذلك معصية وربما كان الرياء أشد من كثير من المعاصي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 112

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب: أسمى مرتبة للعبد في الدنيا أن يكون محسنًا، وَالإِحْسَانُ في كلِ شيءٍ ذروتُهُ وكمالُهُ.

فالكمال في العبودية أن يستشعر العبد معية الله تعالى، ويستحضر مراقبة الله تعالى له، وهذا هو الإِحْسَانُ، «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». جزء من حديث رواه البخاري ومسلم

ومن كان كذلك كوفئ بتمام الأجر يوم القيامة، وكمال النعيم في الجنة، {فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}.

لأن الجزاء من جنس العمل، وبحسب كمال الإيمان، وتحقيق الإحسان، يكون الاهتداء والأمن التام في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 195

(فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أي: إنَّ للمسلمِ وجهَه لله تعالى مُحسِنًا، ثوابَه على ذلك عند الله عزَّ وجلَّ، فهم أهل الجَنَّة وحْدهم، آمِنون؛ فلا خوفَ عليهم ممَّا يستقبلونه من أمور الآخِرة، وهم في سُرور دائم؛ فلا يَحزنون على ما فاتهم من أمور الدُّنيا، فحصَل لهم المرغوب، ونجَوْا من المرهوب. موسوعة التفسير

(فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) أي: ثوابه، والأجر في الأصل ما يؤخذ مقابل العمل، وإنما سماه الله أجراً لبيان أنه متكفل به وأنه لا يضيع عنده.

قال الشيخ ابن عثيمين: وسمى الله (الثواب) أجراً، لأنه سبحانه وتعالى التزم على نفسه أن يجزي به كالتزام المستأجر بدفع الأجرة للأجير.

ثم تأمل قوله -تبارك وتعالى :(فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) ثم إضافة ذلك إلى الرب :(فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) هذا يدل على الفخامة لهذا الأجر.

فذكر الرب هنا ما قال: عند الله؛ وذلك والله أعلم أن معاني الرب الربوبية العطاء والمنع والأجر والثواب وما إلى ذلك.
خالد السبت

ثم أيضًا هنا ذكر الرب يدل على مزيد من اللطف فإن من معاني الربوبية أو الرب الترببب والتربية، فالله -تبارك وتعالى -يُصرّف عباده فيما يرفعهم وينفعهم وكذلك أيضًا الله -تبارك وتعالى-يربيهم بالنعم الظاهرة والباطنة، كذلك أيضًا يُربي هذه الأعمال وينميها حتى تصير التمرة بمنزلة. خالد السبت

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أي (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلونه (ولا هم يحزنون) على ما مضى مما يتركونه

فالخوف: الغم من أمر مستقبل، والحزن: الغم من أمر فائت، وقد يستعمل الحزن بمعنى الخوف ويمكن يفسر به قوله تعالى عن أهل الجنة حين دخلوها (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ) أي : أذهب عنهم الخوف.

وقال السعدي: ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم المرغوب ونجوا من المرهوب، ويفهم منها أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول الله صلى الله عليه وسلم.

كل من أخلص وجهه لله وهو محسن، نال ولاية الله فيؤمنه من الخوف فيما يستقبله والحزن فيما ترك ورائه وهذه رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيما لله عز وجل، وتترجم إلى واقع عملي، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته.

عن عمر بن خطاب رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِنَ النَّاسُ، وقرَأَ هذه الآيةَ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: 62] صحيح أبي داود.

ويكفي المخلص لربه في العبادة والمتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الملائكة التي تتوفاهم طيبين يبشرونهم بالجنة، وتتنزل عليهم الملائكة عند الموت أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة، فيجب أن نحرص على الاخلاص وتوجه القلوب الى خالقها، فلا تفزع الى الناس تريد المدح والثناء، ولا تخشى الذم والقدح، تبغتي بجميع أعمالها الظاهرة والباطنة رضى الله والفوز بالجنة.

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) 30فصلت

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا وإياكن، ممن حسنت خاتمته وكان من الذين قيل لهم: (لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)[الأعراف:49] (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[النحل:32] نسأل الله العظيم أن يجعل أسعد لحظة لنا في هذه الحياة، لحظة فراقها والخروج منها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) 113

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ)

أي: ضلَّل وكفَّر بعضُهم بعضًا، فادَّعى أهلُ كلِّ دِينٍ منهم، أنَّ دِين الآخَر باطل، ليس فيه شيءٌ من الحقِّ مطلقًا. موسوعة التفسير

قال الطبري: قالت اليهود: ليست النصارى في دينها على صواب، وقالت النصارى: ليست اليهود في دينها على صواب.

⇦**أن هذه المقالة التي قالتها اليهود وقالتها النصارى، يقولها أيضاً كل من كان جاهلاً.**

كما قال ابن عباس لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله :صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحدوا نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله في ذلك من قولهما (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ...).

قال أبو حيان: قيل: المراد عامة اليهود وعامة النصارى، فهذا من الإخبار عن الأمم السالفة، وتكون أل للجنس، ويكون في ذلك تقريع لمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفريقين، وتسلية له صلى الله عليه وسلم، إذ كذبوا بالرسل وبالكتب قبله.

⇦وقيل: المراد يهود المدينة ونصارى نجران، حيث تماروا عند الرسول وتسابوا، وأنكرت اليهود الإنجيل ونبوّة عيسى ، وأنكرت النصارى التوراة ونبوّة موسى.

قال ابن عاشور (التحرير والتنوير): لزيادة بيان أن المجازفة دأبهم وأن رمي المخالف لهم بأنه ضال شنشنة قديمة فيهم فهم يرمون المخالفين بالضلال لمجرد المخالفة، فقديماً ما رمت اليهود النصارى بالضلال ورمت النصارى اليهود بمثله فلا تعجبوا من حكم كل فريق منهم بأن المسلمين لا يدخلون الجنة، وفي ذلك إنحاء على أهل الكتاب وتطمين لخواطر المسلمين ودفع الشبهة عن المشركين بأنهم يتخذون من طعن أهل الكتاب في الإسلام حجة لأنفسهم على مناوأته وثباتاً على شركهم.

(وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ) أي: والحال أنَّ هؤلاء المدَّعين من اليهود والنصارى، يَقرؤون كتُبَهم ويعلمون ما فيها من الحقِّ، فيقرأ اليهود التوراة، ويقرأ النَّصارى الإنجيل، وكِلا الكِتابينِ شاهدانِ عليهما؛ فهما يقولان بخِلاف ما يقولون؛ فالإنجيل يَتضمَّن صِدقَ موسى وتقريرَ التوراة، والتَّوراة تتضمَّن التبشيرَ بعيسى وصِحَّة نبوَّته، وكِلاهما يتضمَّنان صِدقَ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ فكيف يدَّعي كلٌّ منهما أنه ليس في دِين الآخر شيءٌ من الحقِّ مطلقًا. موسوعة التفسير

وفي هذه الآية توبيخ لهم، حيث تعمدوا الكذب والافتراء كل فريق على الآخر مع كونهم يعلمون بكذب ما ذهبوا إليه.

وقال الشوكاني (فتح القدير): وفي هذا أعظم توبيخ، وأشدّ تقريع؛ لأن الوقوع في الدعاوى الباطلة، والتكلم بما ليس عليه برهان هو: وإن كان قبيحاً على الإطلاق لكنه من أهل العلم، والدراسة لكتب الله أشدّ قبحاً، وأفظع جرماً، وأعظم ذنباً.

نؤخذ منها شدة العداوة بين اليهود والنصارى، وأنهم لا يرون أنهم على دين صحيح أصلاً، لكنهم يجتمعون في حرب المسلمين، ولو أن ذلك وجه واستغل من قبل أهل الإيمان لاشتغل بعض هؤلاء ببعض، فبينهم من العداوة ما لا يقادر قدره، بل إن بين أهل الطائفة الواحدة من العداوة والتفرق والاختلاف والتكفير ما لا يعلمه إلا الله، ولا يحصيه إلا الله، طوائف اليهود، اليهود على فرق مختلفة متناحرة، يكفر بعضها بعضًا، والنصارى على طوائف، وفرق، وتحت كل فرقة من الفرق ما لا يحصيه العاد.خالد السبت

فالله -تبارك وتعالى- قد جاء بهذا الدين كاملاً شاملاً وسمانا المسلمين، وكان الجيل الأول الذين تلقوا عن رسول الله ﷺ هذا الدين نقيًا ينتسبون إلى الإسلام فحسب، لا يوجد بينهم مذاهب، ولا طوائف، ولا فرق، إنما ينتسبون إلى النسب الشرعية، وهم قد حققوا ما أمرهم الله به من قوله :(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا) [سورة آل عمران:103] وحينما وقع بينهم القتال في الفتنة لم يؤدِ ذلك إلى تضليل بعضهم لبعض، ولا تكفير بعضهم لبعض، فكان بعضهم يشهد للآخر بالفضل والخيرية، ويشهد له إن كان ذلك قد جاء عن الشارع يشهد له بالجنة. خالد السبت

(كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ) أي: أخبَر الله تعالى عن قوم نفَى عنهم العِلم بما كانت اليهودُ والنصارى به عالِمين، أنَّهم قالوا -بسبب جهلِهم- نظيرَ ما قاله اليهودُ والنَّصارى بعضُهم

لبعض، من أنَّهم ليسوا على شيءٍ من الحقِّ، وهذا تعريضٌ من الله تعالى بهؤلاء اليهود والنَّصارى؛ زيادةً في التشنيع على ما قالوه لبعضهم، حيث اشتَركوا وهم أهلُ كتاب، مع أهلِ الجَهالة في المقالة نفْسها. موسوعة التفسير

(قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) كذلك قال الذين لا يعلمون من مشركي العرب وغيرهم مثل قولهم، أي قالوا لكل ذي دين: لست على شيء. التفسير الميسر

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي: إنَّ الحَكَم العدل سبحانه وتعالى، يتوعَّد هؤلاءِ المختلِفين -القائِلِ بعضُهم لبعض: لستُم على شيء من الحقِّ - بأن يقضيَ ويَفصِل بينهم يومَ تقومُ الساعة، ويقومُ الناس من قُبورهم، وأنَّه سيَجزي كلَّ مبطل على باطله؛ فإنَّه لا نجاةَ لِمَن لم يؤمِن بجميع الأنبياء والمرسَلين عليهم الصَّلاة والسَّلام. موسوعة التفسير

إثبات الجزاء يوم القيامة:

قوله تعالى (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) **سمي بذلك**

أولاً: لأن الناس يقومون من قبورهم

قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (6)

ثانياً: ولقيام الأشهاد

لقوله تعالى (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (51)

ثالثاً : ولقيام الملائكة

لقوله تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا)(38)

قال ابن كثير: أي أنه يجمع بينهم يوم القيامة، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور فيه ولا يظلم مثقال ذرة، وهذه كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

التحذير من التعصب في الدين والترامي بالكفر، وتفريق كلمة المسلمين، والله تعالى قد أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وقد امتاز أهل الحق، من هذه الأمة بالسنة والجماعة، عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وعما مضى عليه المسلمون. الدرر السنية

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) 114

المعنى الإجمالي: يُخبِر الله تعالى أنَّه لا أحدَ أشدُّ تعدِّيًا على حدوده ممَّن منَع ذِكرَه في بيوته، وبذَل جهدًا في إفسادها، وهؤلاء جعَل الله سبحانه وتعالى عقابَهم بأنْ حرَمَهم من دخولها، إلَّا على وجه الخوف من الله، أو من عِباده المؤمنين، ولهم مع ذلك ذلٌّ وعارٌ في الدنيا، وأمَّا في الآخِرة، فلهم عقوبةٌ عظيمة. موسوعة التفسير

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) أي: لا أحدَ من المانعين شيئًا، أشدُّ جَراءةً وتعدِّيًا على حدود الله عزَّ وجلَّ ممَّن منَعَ العبادة في بيوت الله تعالى، واجتهد وبذَل وُسعَه في إفسادها حسيًّا ومعنويًّا. موسوعة التفسير

☜المنع هو منع لطاعة الله وعبادته والتقرب إليه، فإذا منع حقه -تبارك وتعالى- من العبادة التي خير مواضعها المساجد، كما قال النبي ﷺ :(أحب البقاع إلى الله مساجدها) هذه المساجد هي أفضل البقاع وأحب البقاع إلى الله -تبارك وتعالى- ولما ذكر الله تعالى في سورة النور نوره وهداه :(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) [سورة النور:35] إلى أن قال :(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)[سورة النور:36] يعني مواضع هذا الهدى ومظانه، ومحاله هي المساجد، لا الأسواق، والطرقات. خالد السبت

مَسَاجِدَ اللَّهِ: هي الأماكن التي يتم فيها السجود لله، والسجود علامة الخضوع وعلامة العبودية لأنك تضع أشرف شيء فيك وهو وجهك على الأرض خضوعا لله وخشوعا له

قبل الإسلام كان لا يمكن أن يصلي أتباع أي دين إلا في مكان خاص بدينهم، مكان مخصص لا تجوز الصلاة إلا فيه، ثم جاء الله بالإسلام فجعل الأرض كلها مسجدا وجعلها طهورا....

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ،...)بخاري

والمراد بمنع المساجد أن يذكر فيها اسم الله: منع من يأتي إليها للصلاة، والتلاوة، والذكر، وتعليمه.

وذكر الله يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح:

أما ذكر الله بالقلب: بأن يكون الإنسان متفكراً متأملاً في آيات الله.

وأما الذكر باللسان: فهو يتناول كل قول يقرب إلى الله، من قراءة أو تسبيح.

وأما الذكر بالجوارح: فيشمل كل فعل يتقرب به الإنسان إلى ربه، كالوضوء والصلاة وغيرها.

قال الشوكاني: هذا الاستفهام فيه أبلغ دلالة على أن هذا الظلم متناه، وأنه بمنزلة لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم، أي: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله.

وقد اختلف المفسرون في المراد في الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين:

☜**القول الأول: هم النصارى**

قال مجاهد: النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه

وقال قتادة: في قوله (وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) قال: هو بِخْتَنصَّر، خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البالي المجوسي على تخريب المقدس.

وقال السدي: كانوا ظاهروا بختنصر على تخريب بيت المقدس، حتى خربه وأمر أن تطرح فيه الجيف، وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحي بن زكريا .

وروي نحوه عن الحسن البصري، وعلى هذا القول فإن الخراب هنا خراب حسي

☜**القول الثاني: نزلت في صد المشركين النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت الحرام في عمرة الحديبية عام 6 هـ. (ابن كثير)**

ورجح القرطبي رحمه الله العموم، فقال: وقيل المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح، لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجميع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف.

قال البيضاوي: قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...) عام لكل من خرب مسجداً، أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة، وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله، أو في المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية.

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) أي : وسعى ، أي : اجتهد وبذل وسعه (فِي خَرَابِهَا) **الحسي والمعنوي** ،**فالخراب الحسي** هدمها وتخريبها وتقذيرها ، **والخراب المعنوي** : منع الذاكرين لاسم الله فيها .

⇦**الإشارة إلى أن ما يتعلق بأمور الدنيا من بيع وشراء وأجارة ونحوها، لا يحل إيقاعه في المسجد،** ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيتُم من يبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ فقولوا لا أربحَ اللَّهُ تجارتَكَ وإذا رأيتُم من ينشدُ فيهِ ضالَّةً فقولوا لا ردَّ اللَّهُ عليْكَ) صحيح الترميذي.

(أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) أي: قد منَع اللهُ تعالى أولئك الذين يسعَون في خراب بيوت الله تعالى حسيًّا ومعنويًّا، منْ أنْ يدخلوها إلَّا وقلوبهم وجِلة؛ خوفًا من عقوبة إلهيَّة تحلُّ بهم، أو خوفًا من المؤمنين أن يعاقبوهم تسليطًا من الله تعالى لهم. موسوعة التفسير

(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أي: لأولئك الذين تقدَّمت صِفتُهم في هذه الآية، ذلٌّ وعارٌ يحلُّ بهم في الدُّنيا، من قَتْلٍ، أو سَبيٍ، أو جزيةٍ، أو فضيحةٍ، أو غير ذلك، أمَّا في الآخرة فلهم عقوبةٌ عظيمة. موسوعة التفسير

(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) **والخزي:** هو الشيء القبيح الذي تكره أن يراك عليه الناس.

قال القرطبي: ومن جعل الآية في النصارى روي أنه مرَّ زمان بعد بناء عمر بيت المقدس في الإسلام لا يدخله نصراني إلا أوجع ضرباً بعد أن كان متعبدهم.

✉**من جعل الآية في قريش، جعل الخزي في الدنيا**: الفتح، وأن لا يدخل أحدهم المسجد الحرام إلا خائفاً، لأن الجزاء من جنس العمل، فكما صَدوا المسلمين عن المسجد الحرام؛ صُدوا عنه.

قال ابن كثير : (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه من نصب الأصنام حوله ، ودعاء غير الله عنده، والطواف به عرياً ، وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها الله ورسوله.

أن هؤلاء المتسلطين على عباد الله، بمنعهم من مساجد الله أن يذكروا اسم الله ، لهم عقوبتان :

❶**عقوبة في الدنيا**: وهي الخزي والذل.

❷**وعقوبة في الآخرة**: وهي العذاب العظيم

⇦وبمعنى المخالفة: فالذي يعمرها عمارة حسية أو يعمرها عمارة معنوية، أو يقوم بالعمارتين لا شك أن هذا له في الدنيا الجزاء المعجل الحسن، وله في الآخرة الجزاء الحسن الذي يجده عند الله - تبارك وتعالى - وقد جاء

في الحديث المشهور أن :(من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة)صحيح الجامع والجزاء من جنس العمل، لما بنى بيتًا لله بنى الله له بيتًا في الجنة. خالد السبت